

الباب الثانى التعريف بقصة "ليالى الفجر" وأم حسان الحلو

الفصل الأول نبذة عامة عن قصة ليالى الفجر

إن قصة "ليالى الفجر" إحدى القصص المشهورة فى الوطن العربى، التى طبعت فى الرياض سنة 1417 من الهجرة، وهذه قصة إسلامية، وتزين بآيات القرآن وتمتلى بهم والحزن.

وفى "ليالى الفجر" تشرح أم حسان الحلو بأسلوب جميل يحريف وعينا عن الحق والعبرة والأخلاق. وهذه القصة ليست من الأدب الأوصاف ولكنها مثل بئر له أسوة وماء لم يكن قاحلا ولو أخذه الناس مرارا.

وهذه خلاصة قصة "ليالى الفجر"

ماريا طفلة ألماتية جميلة وبريئة تعشق نسيم الصباح، فتملاً منه رتبتها وتلاحق الفراشات.... وتداعب الأغصان، وتلعب مع الحيوانات. تركض أحيانا وتقف لحظات لتسمع نداء من أعماقها يسألها : من أنت ؟ من أين أتيت ؟ لماذا خلقت ؟ ما هو دورك فى هذه الحياة؟ وأين سيصبح مصيرك ؟ وتزدحم الأسئلة فى رأسها الصغير.

رأت فى عيني هذه الصغيرة تساؤلات كبيرة فأخذتها إلى الكفيسة لتفهم شيئاً فى دينها. ربما اقتنعت بكثير من المبادئ الدينية التى شرحها القس لها.... واستراح قلبها لأنها علمت يقينا أن لهذا الكون خالق ومدبر لكن مقولة القس بأنهم صلبوا لسيد المسيح من أجل إرضاء الاله أثارت تساؤلات كبيرة هدمت الكثير من المعاني الدين 9 كان يلح على ذهتها الصغير

سؤال كبير وهل يعقل أن يعذب الولد لإرضاء الوالد كما يزعمون!! أيمن أن يصلب الابن ابتغاء مرضاة الرب؟؟ ... كلام غير مقنع أبدا...

ربما تخيلت أن أحياء والدها سيوجعونها ضربا تعبيراً عن حبهم الكبير للسيد والدها. فأخذت تهرب من الناس، بل وتهرب من المدرسة أيضاً، وتفسر ذلك بقولها: كنت أتعلم عليّ أجد إجابات لأسئلتى الحائرة، لكنني كنت أحس أن العلم الذي أتعلمه يزيدني بعداً عن الله.... إنه علم مادي بحث!! أين أذهب بمطارق الأسئلة.... ومتفجرات العواطف التي تكاد أن تمزقني؟ وكانت لدى أشواق علوية لا أدري لها معناها ولا معنى...

أصبحت واحدة من ضحايا المدنية... الحياة في المدينة تغني العيش بين المنافقين والكذابين والمخادعين والغشاشين، إن للمدينة طريقاً أذاً جذاباً سطحياً، يحاول أن يغطي عنها وقذارتها الداخلية...

تتذكر ((ماريا)) أنها كانت تحب أن تتحدث إلى أبيها أو إلى أمها بشيء مما يجيش في صدرها، وكانت تحاول الحديث والتودد إلى أبيها فيقاطعها قائلاً لكنه كان دائماً مشغولاً ومتنقلاً وبالم يدرى قيمة الأحاسيس والعواطف والأشواق التي تكاد أن تقتل ابنته.

غدت ((ماريا)) شابة يافعة.... تستمع إلى الموسيقى يشتهي ألوانها وأنغامها الموسيقى... هذه الأصوات المنسجمة هي الوحيدة التي تحملها إلى عالم رفيف شفيف نظيف. وكانت تعتقد أن كل إنسان يشغل بهذا الفن الرفيع يعيش حياة إنسانية عذبة بعيداً عن هموم المادة المدمرة لذلك اختارت ((ماريا)) كلية الفنون كفرع للدراسة عليها تجد ما يطفئ أشواقها الروحية الجارفة وذلك بعد تجربة ذاتية أليمة، فقد سحرت الموسيقى ((ماريا)) وأسرها الفن وجذبها الفنانون. واحتل قلبها أحدهم....

فتزوجته وهى به سعيدة لكن أيام سعادتها قليلة وعادت ((ماريا)) حائرة معذبة لاتستقر لها رؤيا ولا خطوة احترق فؤاد ماريا وأحرق معه كل تقدير للفنانين، ومن بين الدموع والآهات طلبت الطلاق.

حاول أستاذها التوسط بينها وبين زوجها... وكان أستاذها ذلك الموسيقار الكبير أشد المجموعة انحلالا وانحطاطا... كان يزلي كل ليلة ولا يعرف النوم إلا بعد معاقرة الخمر، لكنها سمعت يوما بأنه يقرأ الكتب المقدسة غير الإنجيل... فارتاحت لهذا الخير واختزلته فى ذاكرتها.

اظلمت الدنيا فى عبنى ((ماريا)) وفدانها رآخر ستار لهذه الحياة المادية العابثة التي يعيشها الناس من حولها... فقررت أن تنتحر وتنتهى هذا العذاب بيدها. لكن الانتحار ليس بالسهل إنها لا تجرؤ على قتل نفسها. وفى الحقيقة كانت ((ماريا)) تحب الحياة وتكره ذلك النمط المعيشي الذي تحياه.

جلست ((ماريا)) مع أشرطتها وأسطواناتها الموسيقية... الغربية منها والشرقية ... فأحست أن للشرق فنارقيعا أحبته، وشعرت أنه قريب إلى قلبها. ففكرت بالسفر إلى بلاد الشرق، لترى كيف يعيش البسطاء وبماذا يفكرون. تصارع المشروعان فى قلب ((ماريا)) ترى هل تغادر دنياها بالسفر إلى بلاد الشرق أما أنها ستغادر الدنيا بالكلية فتستريح منها وتقدم على الانتحار. يبدو أن السفر إلى بلاد الشرق هو المشروع الأنجح لقد سعدت ((ماريا)) سعادة غامرة بعد اتخاذها لهذا القرار خاصة وأن ((ماريا)) تعرفت إلى شابة ألمانية جميلة تود الخروج من ألمانيا والتنقل فى أوروبا للسياحة والنزهة. فاتفقتا على السفر معا برا بأسلوب (التوقف المتكرر)، ولما كانت صاحبتهما لها غاية التفزه والتجوال فقد ارتدت أجمل زينتها وحملت معها أكثر الملابس إغراء وجاذبية وتركت شعرها منسد لا على كتفها.

حددنا موعد السفر بالضبط. فحملت ماريًا أمتعتها ومرت على والدتها، فسلمت عليها وودعتها الوداع الأخير، وكذلك بقية أفراد أسرتها، ولم تنس أن تودع أستاذها - الذي كان يقرأ الكتب المقدسة رغم انحلاله، فأعطاها كتابًا قال لها إنه كتاب مقدس ليئك تقرأينه وتتدبرينه. سوف يمنحك سعادة عظيمة... أنا على ثقة تامة بذلك. فأخذته ولم تفكر بقراءته بل دسسته بين أمتعتها وغادرت بلادها هي وصاحبته. تأملت الطريق طويلاً وهذا العالم الفسيح أمامها، رأت الدنيا على حقيقتها ثم سارت في طرقات ((يوغسلافيا)) وأحيائها.... استوقفتها مبني شامغ جميل أنيق، أحست برغبة في دخوله.... غير أن الحارس منعها وحال بينها وبينه.

ثم سافرت إلى إحدى الجزر الإيطالية حيث ودعت زميلتها التي ركبت الباخرة... فوقفت ((ماريا)) بجانب السفينة وعزفت لزميلتها لحن الوداع... فمشت السفينة فوقعت ((ماريا)) في البحر ثم وصلت الشاطئ سباحة حيث كانت تنتظرها الشرطة هناك لأنهم شكوا في أمرها وتساءلوا: ماذا تفعل امرأة شابة هنا وحدها.... ثم سألوها: ألك في هذه الجزيرة صديق أو قريب؟ فأجابت: لا فقالوا: أولاً تعلم هذه المرأة أن العالم حولها ((متوتر)) أم أنها تتجاهل.... إن صفاتها وسلوكها يوحي بأنها (جاسوسة) لجهة ما.... ولا تود الاعتراف.... ويا لغباؤها تجيبنا إجابات بلهاء. فتارة تقول: تتأمل الكون والحياة، وتريد إنمام المسير نحو الشرق المغفل مثلها.... أوتظننا مثلها مغفلين؟.... نحن ليس لدينا سوى السجن لها ولأمثالها. وهكذا أودعت ((ماريا)) السجن!! وتعليقاتهن تجرحها... فإن كانت هي قد سجت دون ذنب اقترفته.... فالسجن بالنسبة لها عقوبة عظيمة لا تستحقها.... وأما السجنيات فقد ارتكبن جرائم شتى. فالسجن لهن أقل عقوبة يستحقنها وهكذا جلست ((ماريا)) تحدث

نفسها فى زنزانها تلك ... وتعرض عن المجرمات السجينات معها.

وبعد مراقبتها أيقنوا أنها امرأة بريئة لا علاقة لها البتة بشيء مما حاولوا إثباته عليها فقرروا أن يطلقوا سراحها، لكن عليها مغادرة البلاد فوراً. مشت ((ماريا)) فى طرقات تلك الجزيرة وحيدة فريدة حزيئه تنظر إلى الأرض تارة وإلى السماء تارة أخرى ... لكن ((ماريا)) مازالت تغشق الحقول والسهول والشواطئ والحيوانات.

وحزمت ((ماريا)) أمتعها القليلة واتجهت نحو جزيرة ((كريت)) حيث حطت ((ماريا)) رحالها فى الجزيرة الخضراء الخلابة.... بدأت تصعد الجبال وتهبط الوديان باحثة عن مسكن يأويها من الثلوج المتراكمة، والعواصف الهادرة، ويحميها من شدة الرياح وقسوة القلوب وجرأة العيون صعدت جبلا كان مزدانا بالكهوف المتناثرة التي دنسها الشباب والشابات بعيشهم فيها ومما رسقهم لما لا يرضي فطرة ((ماريا)) الطاهرة النقية.... كانت تنظر لهؤلاء الشباب وترثي لحالهم أحيانا وتتقرز منهم أحيانا أخرى بعد جهد شاق وبحث مضني وجدت ((ماريا)) كهفا صغيرا بعيدا عن عين العابثين فقررت أن تسكن هذا الكهف وتتأمل خلق الله بهدوء نفس واطمئنان سريرة، كانت ((ماريا)) تنظر من قمة الجبل إلى السماء البعيدة، وتتساءل : أين تنتهى هذه السماء ؟ ما أعظم خالقها، من أنا فى هذا الفضاء الواسع ؟ أنا ذرة غبار هائمة فى هذا الكون المحيط بى، أم أنا أقل من ذلك بكشير ؟ ... كانت تشعر بقرارة نفسها أن حجمها أقل من ذرة هباء لكن روحها وفكرها صعدا إلى الفضاء الواسع الرحيب ... وتعود لتقول لنفسها : أنت إنسانة كرمك الخالق بهذا العقل ... إذن لابد أن يكون لك دور ورسالة ... وإلا ما قيمة عقلك؟؟؟"

اقترب المساء وخشيت ((ماريا)) أن ينفد الماء من عندها، فقررت أن تذهب إلى القرية المجاورة لإحضار الماء، ويبدو أن ((ماريا)) ملت الوحدة والعزلة وتريد أن تخرج من دائرة صمتها فتتحدث إلى الناس من حولها، كانت ((ماريا)) تتردد على امرأة ألمانية فى تلك القرية، ربما كانت تستريح لثرثرتها أحيانا وتشفق عليها كثيرا. كانت صدمة ألجمت ماريا ولم تدر التعبير عما يجيش بصدرها، فالمواقف حولها كثيرة تشابكت فى أعماقها ولم تدرك كيف تعبر عنها أتضحك أم تبكي ؟ أتفرح أم تحزن؟ أتسخط أم ترضى؟.

ماريا لقد احترقت أشياؤك الغالية وأولها صديق دربك البيانو الذى تعزفين عليه أنغام ((القربات)) وقد أحرق ذلك الشيطان كتبى أوه ... لقد أحرق أثمن وأغلى كتاب أحمله كتاب بدأت اقترب منه وأخذت عباراته تتغلغل فى أعماقي. ومشت فى كهفها الصغير خطوات إلى الأمام ومثلها إلى الخلف عليها تجد بضع وريقات هربت من جحيم نار ذلك الشيطان، لكنهم تجد شيئا... وجلست بعد أن أعيها البحث ثم تنفست الصعداء ونظرت إلى السماء ياإلهى ... !! تكاد لا تصدق نفسها فتحت عينيها جيدا وحدقت فى الأفق المضيئ أمامها أحست أنها وسط مهرجان النجوم ...!! تكاد لا تصدق بأن النور قد زار كهفها وسط الظلام الحالك أو هكذا بدا لها ما أسعدك ياماريا وقد أصحت فى بحر من النور ... إنها لحظات قليلة مرت ثم عام الظلام حولها بعد أن استوطن النور قلبها، سكنت جوارح ماريا وهدأ قلبها بعد أن هدها التعب واستسلمت لنوم عميق.

فى اليوم التالي انتبهت ماريا مرة أخرى، وأخذت تفكر بأحداث امسها وتتجرع كؤوس حرنها... لم تحزن على شىء كحزنها على فراق ذلك الكتاب الذى قرأت فيه قصة جميلة

أخاذه، قصة ذلك الفتى الذي عانى من قسوة إخوته وعشيرته وحسد هم فرموه بعيدا وعاش عمره وحيدا فريدا سجيناً ثم أصبح أمينا على أموال الدولة بعد ما بيع بثمن بخس دراهم معدودة ثم ماذا؟ عادت إليه أسرته وقد أصبح سيدها ويحمل في قلبه فكرة جديدة ودعوة خالدة. ربما أحست في أعماقها بالقرب من هذه الصورة، فما هي وحيدة تبحر نحو شاطئ أمان لا تدري ما هو، يمكن أن تحمل يوما ما فكرة جديدة خالدة تعود بها إلى أهلها فتندرهم وتبشرهم كما فعل الفتى جوزيف في تلك القصة!!

أشرقت شمس صباح ذات اليوم فرأت ماريّا كل ما حولها مضيئا مشرقا متألئنا إنها ترى عالما جديدا طاهرا نقيّا، وتسير على بساط أخضر ناعم لطيف نظيف لامع لم تعهده من قبل. وترى الأزاهير تتراقص حولها بألوانها الزاهية كأنها تراها لأول مرة، وتلك الصخور الشامخة تراها ماريّا تعكس وجودا لامعا أخاذا. مشت خطوات وبيدة واثقة كخطوات عروس تزف في مهوجان عرسها الحبيب مدت بصرها نحو الأفق رأت شيئا ما لامعا مضيئا أخيل إليها أنه ينا ديها ويهتف باسمها! اقتربت بضع خطوات تحوه ثم أشاحت بوجهها عنه لكنها لم تستطع تجاهل ذاك النداء فعادت تسير باتجاهه وتسرع الخطى نحوه ... اقتربت أكثر فأكثر.. أحست تقشعريّة تملكها وكأنها أصبحت أسيرة وسط كهربائي عنيف الأثر جذبها إليه بقوة....

مدت يدها نحو ذلك الشئ، التقطته بسرعة وأمسكت به بقوة خشية أن يتلقفه أحد منها ثم أبعده عن جسدها قليلا، لقد كانت ورقة من ذلك الكتاب الحبيب ... فقرأت بخشوع :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَدُّ إِلَيْهِ رَبُّ
الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) لِيَلِكَ نَعْبُدُ
وَلِيَلِكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْنَا الصَّوْاطِ الْمَسْقِيمِ (6) صَوَاطِ أَيْنَ لَعْنَتِ
عَلَيْهِمْ عَمِ الْمُضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)

ثم قرأت : الم(1) لَكَ الْكَلْبُ لَا رَبَّ فِيهِ هَيَّ
لَمَّيْنِ(2) أَلَيْنَ يُؤْمُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُهْتُونَ(3) وَالَّذِينَ يُؤْمُونَ بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُؤْمِنُونَ(4) وَأُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ(5)

تمكنت ماريا الدهشة وقرأت تلك الكلمات مرات ومرات،
وكان تلك الكلمات كانت ترسل إلى قلبها نهر ماء عذب فرات
سلسبيل. أمسكت تلك الورقة واحتضنتها ولفت حول نفسها مرات
ثم قرأتها متأنية وخاطبتها قائلة : أنت لي خطابك دخل قلبي
.... هذه رسالة من ربي إلى قلبي اه ما أسعدني! ثم سارت
تحمل كنزها بين يديها وتتأمل ما قرأت : (الحمد لله رب العلمين)
... إن كل ذرة في جسد ماريا تحمد الله الذي حفظه ونجاه من
المخاطر، وكان قطرة دم تنبض في قلبها تحمد الله الذي أنعم
عليها بالعقل والروح والفؤاد.

و.....(رب العلمين) وهو رب العوالم التي تراها
السموات اللامتناهية والكائنات التي لا تعد والأرض الممتدة بما
عليها وبمن عليها، ورب هذا القلب الخافق بين جوانحها وهذه
الروح المشتاقة لعالم شفيف نظيف.

مكثت ماريا أياما وهي تعيش سعيدة بتلك العبارات التي
كانت ترددها ليلا ونهارا وتتغنى بها سرا وجهارا. فهتمت ماريا
من تلك العبارات أن لها دورا في هذه الحياة الصاخبة.
دور يضمن لها سعادتها واستقامتها وطمأنينتها وأدركت أنها عبدة
لرحمن رحيم مالك متصرف، وهي تود أن تعبر عن عبوديتها
لهذا الخالق العظيم فجلست على ركبتها ووضعت جبهتها على
الأرض ثم دعت وبكت وابتهلت وكررت : (اهدنا الصراط
المستقيم).

أحست ماريًا براحةً قلبيةً عظيمةً وسعادةً هائلةً غمرتها من رأسها حتى أخمص قدميها، فقررت أن تكرر هذه الحركات وتلك الدعوات ولكن أين ومتى؟ قامت ونظفت مكانًا صغيرًا في كهفها وحددت لها وجهة لم تحد عنها (وقد ادركت فيما بعد أنها كانت متجهة نحو الكعبة!!).

يوم علمت فيه ماريًا عن حضور بحاتة يهودي يبحث عن الحق، فهرعت ماريًا نحوه وطلبت منه ذلك الكتاب المقدس الذي فقدته وكان حوارًا ساخنًا عندما سألتها.

ترددت ماريًا باذئ بدء وأخذت ترقب ذلك اليهودي حتى بدالها صدقه ورجولته وجديته خاصة بعدما تحدثت إليه أكثر من مرة حيث فهمت عمق مبادئه وسمو نفسه وأهداقه وصواب تخطيطه، فقد قرر السير إلى تركيا أولاً فوافقته ماريًا وابتدا الرحلة. وصلا تركيا في جوف ليل صيفي حالك، وارتقى كل واحد منهما تحت شجرة بعيدا عن الآخر حيث عطا في نوم عميق بعد يوم من التعب والاعرهاق الشديدين. ربما لم تقدر ماريًا على التقلب فوق التراب من شدة الاءعاء، وكان يخيل للناظر إليها أنها في غيبوبة تامة. مضت ساعات قليلة وماريًا على تلك الحالة حتى حدث شيء جعل كل جوارح ماريًا تستيقظ تمامًا فعند الفجر سمعت ماريًا صوتًا لم تدرك متى بد أو ماذا يعني، لكنه دخل سويداء قلبها وشعرت أنه صوت جميل جدًا.

تقلبت ماريًا فوق التراب، فتكرر الصوت والنداء، نهضت ماريًا بتناقل وجلست فتكرر الصوت ثم توقف شكت ماريًا في نفسها وفيما حولها وتساءلت : هل أنا في حلم أم في علم ؟ أنا أتخيل ما سمعت أم هي الحقيقة ؟ ومدت يدها فتحسست ما حولها وأيقنت أنها بوعيتها التام فجلست جيدًا وأصغت السمع لصوت جميل ندي، رخي لم تعهده ماريًا ولم تدركه من قبل.

حاولت ماريا أن تشدذ جميع قدراتها الذهنية عليها تذكر شيئاً من ذلك الصوت كلماته صفاته لحنه، عبثاً حاولت ماريا مع نفسها ولم تدركه تعلق قلبها بذاك اللحن الجميل الأخاذ. وخطر ببالها : كيف بها لو لم تسمع ذلك الصوت العذب مرة أخرى. سوف يعتصر قلبها ألماً ووجداً على لحظات نورانية فيها شفافية رهيفة رهيبة قليلة مشيت ماريا في شوارع تلك البلدة لغير ما غاية. أنها تود أن تسأل عن مصدر ذلك الصوت العذب وذاك اللحن الغريب الحبيب لكنها لا تدري كيف تسأل أو ماذا تسأل ولا من تسأل ؟ فعم تسأل إذن ؟

ربما حاولت ماريا مشاركة ذلك المنادي عزفه ((الفني النادر)) - حسب مصطلحاتها - فحاولت أن تردد قوله لكن مخارج حروفها وعدم إدراكها لمعنى ما تسمع لم يسعفاها كي تحسن الترداد.

فلتجرب ماريا ولتدخل ذلك المكان وليكن ما يمكن، حركت ماريا قدميها قاصدة ذلك المكان فغمرتها رعشة كستها من رأسها حتى أخمص قدميها اللتان كانتا تخطوان خطوات مضطربة بين الردهات الواسعة التي كانت تحقق بها... وتساءلت : ما هذه القاعات الواسعة الهادئة الجميلة الفارغة المفروشة بالسجاد فقط!

ربما أرادت ماريا أن تمكث في تركيا مدة أطول مما مكثت عليها ترى شيئاً جديداً أو تغرف من بحور الجمال مزيداً، لكن ضيق ذات اليد من ناحية وصعوبة التفاهم لأعجمية اللغة من ناحية أخرى إضاقاً إلى أن تركيا ليست هي المكان الذي ينشده زميلها اليهودي أو تبتغيه ماريا فهما يريدان مجتمعاً أكثر التزاماً بمبادئه، فاتفقا على أن يتجها إلى مصر بعد أن حصلا على تذاكر سفر مخفضة خاصة بالطلبة.

كانت الطائرة ترتفع عن أرض تركيا الخضراء وجوها المعبق بالسكينة والطمأنينة، بينما كان قلب ماريّا يهبط لمعانقة تلك الأرض وتقبيل تلك البقع الجميلة، لقد تركت قلبها الأسير يستعيد ذكريات أسرها الحبيب، أغمضت عيناها وتركتها تحلمان بكلمات ذلك الكتاب المقدس وتذرفان دمعان حارتان على فراق تلك الأرض العربية الغربية الحبيبة. حاولت أن تطفئ لهيب قلبها الذي أشعله الفراق فتتظر من نافذة الطائرة وتتأمل... إنها ترى أن كل ما على الأرض صغيرا بل أصغر من الأقزام فتسأل ماريّا قلبها:

والتفتت نحو أحدهم حيث كان يقرأ بصوت ندي رخي كلمات لم تدركنها لكنها حفظت لحنها وأعادته بعد سنوات لقد كان يقول : (كل من عليها فان) (26) ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاءكرام)، كاد قلبها أن يقفز من بين ضلوعها طربا وهي تلقي السمع لأول اية قرآنية يرتها شيخ عربي يجلس معهم في الطائرة. لقد سكبت هذه الايات في قلبها بلسما شافيا بعد ما استمعت إلى معناها العظيم ودمعت عيناها إذا ربما عسلت شيئا من أدراّن قلبها الذي خاطبته قائلة إن أردت الحياة أيها القلب فتعلق بالباقي وإن أردت الموت فانهل من الفاتي وأغرق به رفعت عينيها الذابلتين باحثة عن صور هاربة متضائلة تكاد تتلاشى ويطويها النسيان من دنياها السابقة التي ودعتها وأخذت تستعد لاستقبال صور حياة جديدة حيث هبطت الطائرة في مطار القاهرة.

هبطت الطائرة في مطار القاهرة وهبط معها قلب ماريّا، لقد أحست أن شيئا ما سيحدث معها على أرض الكنانة، ربما ارتعشت كل خلايا جسدها خشية ورهبة ... لم تدر ماريّا كيف تعبر عن اضطراباتها فتشاغلت بتأمل الناس من حولها في مطار القاهرة. الصغير هنا إنسان مكرم يرفع رأسه بين الرؤوس

المرتفعة بينما الصغير في بلادي مهين ولا يكاد يبين ... آه إنهم يحترمون مشاعر الصغير إلى هذه الدرجة فكيف بهم أمام مشاعر الكبير والإنسانية جمعاء!! هؤلاء الناس يغتلفون حتما عن الذين يقال عنهم بأنهم حرروا وثيقة حقوق الإنسانية!! وأخذ عقل ماريا يترجم لقلبها رسائل عينيها فها هي ترى الكثير الغريب عليها....

إنها تغوص في سبل من الناس عرمرم.. فالزحام شديد لكن الناس هنا يختلقون عن الناس في بلادها... هنا الوجوه مكلفة بالطمأنينة متهلة بالرضا الخطوات تسير نحو غاية وهدف. والأنفاس منتظمة!! أما في بلادها ... هناك القلق يسيطر على محياهم والخطوات مضطربة والأنفاس لاهثة والنظرات تائهة... وقالت ماريا لنفسا : أنهت ماريا معاملات السفر وخرجت من اخر صالة وهي تشعر بأنها خرجت من الدائرة السوداء التي نمت فيها وترعرعت ... لكن إلي أين المسير ؟ سألت زميلها اليهودي. فأجاب سنسير نحو قلب القاهرة حيث تتصارع الأفكار والمبادئ والناس.

في ساعات الأصيل، وقفت ماريا على أحد الأرصفة ترقب خطوات الناس المسرعة أو المتجهة نحو مكان بعينه.... أخذت تستقبل القادمين بعينيها ثم تتبع خطواتهم وتودعهم بعد أن عبروا أمامها. لكن الخطوات ونيمة والناس مطمئنة آمنة، فلا بد أن يكون هناك شئ لا اعرفه. ربما رمقتها امرأة من بعيد فعلمت أنها غريبة ونظراتها تائهة لاتدري ماذا يحدث ... تقدمت تلك السيدة وصافحتها حاولت إفهامها شئ مالكنها لم تفهم فأمسكت تلك السيدة من يدها وأخذتها معها حيث يذهب الناس. ولأول مرة تشعر ماريا بيد دافئة حانية تأخذ بيدها فتشعر بسعادة غامرة وتوافق تلك السيدة موافقة عمياء فاطمئنان قلبها قد سلم العنان لخطواتها. وترقص ماريا مع ذلك الحشد

الهائل من الناس الذين سيكون ويرددون كلمات لم تفهمها ماريًا
.... لكنها أحست أن هذا اجتماع طيب وأن منشأ هذا التجمع هو
الدين. إذن هؤلاء الناس كلهم يعبدون الله هنا وأنا معهم أنا
واحدة منهم! لقد فرحت فرحا غمر جميع الموجودين ثم نقلن
الخبر إلى ذلك الشيخ الذي كان يرتل القرآن حتى حضرت
ووقفت بين يديه.

سألها عن نفسها وكيف حضرت إلى هناك ... فنادت
زميلها اليهودي الذي كان يرقص مثلها إنما بعيد عنها وأحضر
أحد المترجمين.

فسأل : وتؤمنين أن هناك كتباً مقدسة ؟ فأجابت على
الفور : نعم ...إني أعرفها !!

فسأل : وهل تعتقدين أن آخر كتاب قد نزل على خاتم
الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : نعم وقالت في
نفسها : لايد أن يكون آخر كتاب قد نزل على النبي الخاتم...
فقال لها الشيخ إذن ردي بعدي ... أشهد أن لا إله إلا الله،
وأشهد أن محمداً رسول الله

رددتها خلق الشيخ وبكت ... لم تستطع كتم نحيبها
ودموعها وابكت النساء معها تركها الشيخ قليلاً ثم قال لها :
الآن اينت يا اينتي اصبحت اختاً لجميع المسلمات الحاضرات
منهن والغائبات ولكنك لست اختاً لزميلك اليهودي... أما هو
فإن أسلم - وقد أسلم فيما بعد - فهو أخ كريم لجميع رجال
المسلمين الحاضر منهم والغائب. فقامت وودعت زميلها اليهودي
ثم افترقا... أما هي فقد تسابقت النسوة على استضافتها....

وتقول اختنا الكريمة التي سعدنا جداً بأخواتها الغالية أنها
غيرت اسمها واصحت تدعى : ((مريم شكر الله)) والحمد
الله على ذلك وتذكر مريم تلك اللحظات فتقول : عندما نطقت
الشهادتين شعرت أن جبلاً من الهموم الراسيات قد ارتفعت عن

كاهلي بعد أن اطبقت علي سنوات، وأصبحت، أسير على الأرض بسعادة وخفة وحيوية... أصبحت اشعر يقينا أن قدمائي فقط هما اللتان تمسان الثرى، وقلبي وروحي ووجداني كياني الإنساني معلقين جميعهم في السماء.

تذكر مريم تلك الليلة فنقول : اعرف الآن أنها كانت ليلة المولد في مصر وكنت في حي السيدة زينب وكانت ليلة فيها من البدع الكثير استغفر الله العظيم على ذلك، لكنني مازلت اعتقد ان أتعس اجتماع لديكم خير الف مرة من افضل اجتماع عندنا.... وتضيف وهي مبتسمة مطمئنة : أن مجرد النظر الى وجه انسان مؤمن واحد خير من النظر الى كل الوجوه الكافرة!.

وإن شئت الدقة يا اختي ... انظري الى وجه حمار تأملي وجه بقرة بل حدقي فى حجر تدوسة قدمك خير من النظر في وجه كافر.

توقفت اختنا مريم قليلا عن حديث الذكريات ثم رفعت يديها بالدعاء قائلة : اللهم تقبل هجرتى اليك كهجرة "أم سلمة" فرددت الحاضرات آمين.

وقمن لمصافحتها مؤكدات لها أن كل مسلمة على وجه الأرض قد كسبت اختا جديدة هي "مريم شكر الله"، وأنها واحدة من أسرة المسلمات الكبيرة والحمد لله

الفصل الثاني نبذة عن أم حسان الحلوى

أم حسان الحلوى هي خولة العناني، سميت أم حسان لسببين: الأول تيمنا بالصحابيات الكريمات اللواتي كن يدعين أم سليم وأم سلمة رضي الله عنهن ولو استقبلت من امري ما استدبرت لا حكمت الاقتداء والسميت نفسي أم حسان بنت محمد العناني اقتداء بأم سليم بنت ملحان رضي الله عنها، أما السبب الثاني فهو انني اعتبر كلمة "أم" بمثابة كلمة دكتور لأن الأم صاحبة رسالة عظيمة ومهمة جدا في الحياة وهذا تكريم لها. ولدت في عمان حيث درست فيها جميع المراحل الدراسية وتخرجت من الجامعة الأردنية عام **1979** حاملة شهادة البكالوريوس من كلية العلوم قسم الفيزياء إضافة إلى دبلوم في الشريعة الإسلامية وعملت في سلك التعليم ما يقارب العامين ثم تزوجت من الدكتور سمير الحلوى، وسكنت المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم وتنعمت بالحياة هناك سبعة عشر عاما تقريبا ثم عدت إلى عمان منذ عشر سنوات تقريبا في مدينة

رسول الله صلى الله عليه وسلم انجبت ابنائي الثمانية واصدرت
كتبي الثمانية.¹

كما ذكر فيما سبق، كانت أم حسان الحلوى هي أديبة من
الأدباء في الرياض (1390 هـ)، تلقي ما خطر في القاصص
الإسلامية واثارها روائية، وتكتب خاطرة. ومقالة في جرائد أو
مجلات في القصة القصيرة المحاورة. وقد بلغت أم حسان الحلوى
تستعد في الفن والأدب، وهي تشترك في رابطة ادباء الشام عن
الادب النسائي. وفي أسرة مثقفة من أم أحببت التأمل العميق في
الرياض. ففي طول عمرها يذهب إلى الشام. وكان الأدب لخدمة
الدعوة فيه، (ما واحب أدبائنا تجاه الطفل المسلم في هذا العصر؟
ولم كان الأديب الإسلامي أرقى أديب عرفته البشرية؟ هل هناك
أدب إسلامي دون دعوة اودعوة دون أدب حقيقي؟ هذه الأسئلة
طرحناها على الإديبة الإسلامية خولة العناني "أم حسان
الحلو"²

المقهى عند أم حسان الحلوى - والكثير من الأدباء - محور
الصداقة حيث توجد الأنشطة اليومية والأنشطة الأدبية. أما حياة
أم حسان الحلوى الأدبية فبدأت حقا في عصر الحديث بكتابة
المقالات الإجتماعية والفكرية والإدبية في جرائد ومجلات. وما
نزال نذكر أقلاما نسائية مبدعة كان لها الأخر الكبير في بلورة
التحول الفكري والحضاري لجاهير (العربية) حيث تعاطمت
رغبتها في العودة مرة أخرى إلى رحاب الوحي وإلى استئناف
الحياة الإسلامية من جديد، وبالكثير من الرضا ننظر لأعمال
أديبة شفيفة باللغة الأهمية والحضارة لأسماء نسائية مثل عزيزة
الابراش، وحنان لحم، وبنات الشاطي، وعائدة الجراح، وسهيلة
زين العابدين، ورفاه المهندس، وأمة الله الودود، وعبير

¹ www.nawafithna.com/topic - 21771.html.
² Website: http://atiaf.com/v6/index.php.hlm.22

الطنطاوى، ويمان السباعي، وأم الحسان الحلو، وغيرها من المعاصرات.³

أم حسان الحلو تشترك الأدب النسائي، الحركة الأدبية والثقافية والصحوية، وأن نطالب بالتأبيد والإشادة بهذه الموهوة الصينية وهي نشق طرقها بثبات، وهي تتصدى لمحططات التعريب والتبعية، وهي تواجه الكتابة الأدبية قسوة ومجا هذه ليس من أهدافها أن توجد كما فحسب، أن توجد أسماء نسائية على صفحات المجالات وأغلفة الكتب، ولكن أن توجدروية نسائية مسلمة للكون والحياة والإنسان وتكون صادرة من منبعها الطبيعي (المرأة) وحيث يفيد منها الأدب الإسلامي عموما وبنات حواء على وجه الخصوص.⁴

أما المواضيع من آثارها أكثرهم تستخدم بإسم مرأة مثل : عفاف، وأمينة، واطياف، وليالى الفجر، بقي أن نضيف أن النتيجة المنطقية فى الحكم على أى أدبي إسلامي نسائي أو رجالي، وفي ظل من هذا التجاهل والجحود الحدائين، انما تعتمد على العبد الزماني وتكتفي به، فهو الذي يبقى – وكما هي العادة - الحكم الأكبر على قيمة العمل فنيا واجتماعيا.⁵

كانت العناصر في حياة أم حسان الحلو، وهي الاجتماعية والأدبية، وهذا التعبير هو التربية الإسلامية للطفل المسلم، دعوة وأدب (فأن لا أومن بأدب دون دعوة ولا بدعوة دون أدب)، والأديب الإسلامي هو أرقى أديب عرفته البشرية وأمل أن يلتفت إلى المناهج الدراسية التى تصوغ ذوق وعقل الجبل، كما قال لكل أديب مسلم : قد مضى عهد النوم يا أخي.⁶

Website: <http://adabashom.net./show.php?sid=8853>, hal. 1³

website: [ibid](#), hal. 1⁴

Website : [ibid](#), hal. 2⁵

Website : <http://atiaf.com/v6/index.php> - hlm. 23⁶

الفصل الثالث آثار عن أم حسان الحلو الأدبية

أم حسان الحلو من الأدباء المشهورين، ومعظم مؤلفاتها في الأدب من القصص، ولكن مع هذا، هناك أعمال لأم حسان الحلو في الأمور الاجتماعية، والثقافية في شكل القصة القصيرة والرواية والمحاورة التي نشر كل منها في المجلات والجرائد العربية.

وسردت الكتابة التي تؤلف أم حسان الحلو لتعويد الكلمة المؤمنة في الأدب الإسلامي النسائي إلى دور التوهج والعطاء من خلال صدور وفيما يلي مؤلفات أم حسان الحلو الروائية والقصصية والحوارية التي وصلت إلى الكاتبة من المصادر التي تذكر فيها مؤلفاتها الأدبية :

تشرت الأول مرة	الكتاب
	1- قصة قصيرة
1423 /2/2 (2002/04/15)	- ستة أصفار
/11 /19(2002/02/02) 1422	- "أمانة" !!!
/11/12(2002/01/26) 1423	- رثاء رجل حي
1422/10/13(2001/12/28)	- ضباب
1423 /9/30(2001/12/15)	- ليته يحذو حذوه
-	- منارة الآفان (1/2)
-	- منارة الآفان (2/2)
-	- يامسلة : صخرتك حاجز أم سلم ؟

-	- الشفاء
1423/3/2 (2002/05/15)	- شروف لا غروب بعده؟ ⁷
	2 - قصة طويلة / رواية
1451 هـ	- أطياف ⁸
1417 هـ / 1997 م.	- ليالى الفجر ⁹
-	- عفاف
-	- قوارب وأمواج
1414 هـ	- أخطاء تربوية شائعة ¹⁰
	3- حوار
-	- على أي تربية نتربي؟ ¹¹
1424 /9 /4 (2003/10/29)	- الأدب في خدمة الدعوة
يناير 2003	- استكمالاً للحديث عن المبدعات والأمومة.. نتطرق إلى شق بالغ الأهمية وهو الزوج. ¹²

من الروايات المذكورة الجذابة هي "عفاف" لأن هذه الرواية يحكي حول نسائية مسلمة للكون وللحياة والإنسان وتكون صادرة من منبعها الطبيعي (المرأة) وحيث يفيد منها الأدب الإسلامي عموماً وبنات حواء على وجه الخصوص. من هناك مؤلف تشترك الأدب النسائي بجانب هذه الرواية تشرة الاولي.

⁷ Website: <http://www.islamtoday.net/articlescontent.cfm?id=14&subid=151&sturt=91>, hal.7

⁸ أم حسان الحلو، أطياف، (الرياض : مؤسسة أسام للنشر، 1415 هـ)

⁹ أم حسان الحلو، أطياف، (الرياض : مؤسسة أسام للنشر، 1417 هـ)

¹⁰ Website: <http://www.thakafa.info/showclass.asp?id=00204>, halm. 20

¹¹ Website: <http://www.saaaid.net/tarbiah/123.htm>, halm.3

¹² Website: <http://atiaf.com/vb/index.php>, hlm.22,24